مقياس: أنثروبولوجيا الاتصال

محاضرة 7: نشأة أنثروبولوجيا الاتصال

الإنسان كائن اتصالي لا يمكنه العيش دون تواصل مع الآخر، وأنثروبولوجيا الاتصال كفرع وتخصَص علمي تدرس الاتصال الإنساني وأنماط الاتصال من أجل فهم سيرورة العلاقات الاجتماعية والإنسانية (التفاعل- المحاكاة- المشاركة...).

كما تهتم أنثروبولوجيا الاتصال بالعلاقة بين اللغة والثقافة والمجتمع وتعتمد على مناهج التحقيق الاثنوجرافي في دراسة التبادلات الكلامية وتنظر إلى اللغة كمصدر ثقافي تتحكم في استخداماته معايير قابلة للتغيَر حسب المجتمعات، وتدرس كل أنواع الخطابات وتشمل مواضيع دراستها أيضا الطقوس والأساطير والحكايات.

1 - بدايات أنثروبولوجيا الاتصال:

يرجع بعض الباحثين أصل هذا العلم لأبحاث العالم مالينوفسكي في العشرينيات من القرن الماضي عندما حاول تفسير التغيَر الثقافي من خلال النمو الداخلي للثقافات وهو ما يعرف بالتطور الثقافي، وأيضا من خلال الاتصال بين ثقافتين مختلفتين وهو ما يعرف بالانتشار الثقافي، وهناك من يرجع جذور هذا العلم لأبحاث لويس هنري مورغان الذي وصف في كتابه (عصبة الأركواز) عام 1851 نظام القرابة المؤطر لهذا المجتمع والمحدد للنظام الاجتماعي والسياسي فيها والمؤثر في الوقت ذاته على اللغة كوسيلة ورسالة ومضمون اتصالي ونسق ثقافي في الوقت ذاته[1]

غير أنَ أوَل من استعمل مصطلح أنثروبولوجيا الاتصال هو **دال هايمس** سنة **1967** في إشارة منه إلى التواصل في الثقافات وقد اقترح مشروعا يتمثل في دراسة اثنوجرافية للسلوكيات والظروف والمواضيع المدركة داخل فئة معينة وكأَن لها قيمة تواصلية.[2]

من جهته يرى إيف وينكن أن أنثروبولوجيا الاتصال هي نظرة معمَقة للمجتمع ترتكز على الأعمال الميدانية المتعددة الأماكن خصوصا المفتوحة منها مثل دراسة الاتصال في الأسفار، التظاهرات، زيارة المتاحف، المقاهي، الحدائق العامة، الموسيقى، الرقص، القرابة... هذا الافتراض مؤسَس على الاثنوجرافيا لا اللسانيات وعلى الاتصال لا اللغة لأنَ

---

[1] د. راشدي وردية، **الأسس النظرية والإجراءات المنهجية لأنثروبولوجيا الاتصال**، ص194

[2] ايف وينكن، ترجمة خالد عمراني، أنثروبولوجيا التواصل من النظرية إلى ميدان البحث، المنامة، 2018،ص139

الاتصال لا يقتصر على رسالة تبادل وتقابل بل كذلك على نسق عام مكوَن لسيرورة الحياة اليومية[3]

إذن عندما بدأت الأنثروبولوجيا في دراسة السلوكيات والممارسات الثقافية من زوايا اتصالية ظهر فرع أنثروبولوجيا الاتصال.

أ ـ اثنوجرافيا الاتصال the Ethnography of communication

وتسمى في الأصل اثنوجرافيا التحدَث والخطاب، وهي العلم الذي يهتم بتحليل التواصل ضمن السياق الواسع والذي يشمل الممارسات الاجتماعية والثقافية واعتقادات أعضاء ثقافة معينة أو كلام مجتمع معين، كما يدرس كيفية تعلَم أعضاء المجموعة الأفعال والرموز الخطابية.

هذا التيار أنشأه الباحثين الأمريكيين Dell Hymes و J. Ghmbers واهتم باللغة باعتبارها أداة تفاعل أساسية بين الأفراد ولهذا ركَز على العادات اللفظية للجماعات الإنسانية والإشكاليات المرتبطة بالتنوع اللغوي (ازدواجية اللغة، تعدد اللغات، ازدواجية اللهجة، تعدد اللهجات).

ب ـ دايل هايمس ومشروع اثنوجرافيا الاتصال:

في 1962 قام (هايمس) بكتابة ورقة بحثية بعنوان (اثنوجرافيا الكلام ethnography of speaking) اقترح فيها دراسة الارتباط بين اللغة، الثقافة والمجتمع في ضوء أعمال (فرانس بواس / ادوارد سابير / بينجامن لي وورث) والتركيز على تحليل الممارسات الكلامية ضمن سياقاتها.

وفي 1964 أعاد صياغة هذه الورقة وأسماها (مقدمة نحو اثنوجرافيا الاتصال) وقام بنشرها في مجلة (الانثروبولوجي الأمريكي) تطرَق فيها للخصائص والسمات الصوتية وغير اللفظية وغير المسموعة للتواصل وبالتالي أعطى لهذا المسمى الجديد فكرة عدم امكانية اختزال الاتصال في بعده الشفهي فقط.

ويعتقد (هايمس) بأنَ لغة الإنسان تؤثَر بشكل واضح على نظرته للعالم لأنَ الكلام هو أحد العناصر الرمزية التي يستخدمها الفرد في المواقف الاجتماعية المختلفة، وبأن المنهج الذي يجب أن يتبعه الباحث عند تحليله للغة من منطلق انثروبولوجي يرتكز على عنصرين هما:

ـ.التقصي المباشر لاستخدام اللغة في سياقات حالات مختلفة لمعرفة الأنماط الملائمة لأنشطة الكلام.

---

[3] مطبوعة بيداغوجية ص81

ـ أخد المجتمع كسياق وتحري عادات التواصل الخاصة به، أي أنَ عملية تحليل الصيغة اللغوية يجب أن تكون وفقا للسياق الاجتماعي.

وبعد عقد من الزمن وفي 1974 نشر (ريتشارد بومان) و(جول شارز)وهما من تلاميذ (هايمس) مؤلفا جماعيا بعنوان (استكشافات في اثنوجرافيا الكلام explorations in the ethnography of speaking) والذي يعتبر معلما بارزا في التخصص العلمي الجديد الذي بدأه أستاذهما.

نظرية هايمز Hymes أو نموذج "Speaking ": تتكوَن هذه النظرية من العناصر التالية:

1ـ الوضعية Setting تحتوي على إطار العملية الاتصالية (الحيَز الزماني والمكاني المخصص من قبل المرسل للتبادل الاتصالي) وكذا الإطار السيكولوجي النفسي للأشخاص (المرسل + المتلقي + المشاركين).

2ـ المشاركون les participants نقصد بهم كل من يشاهد أو يستمع أو يلاحظ اللقاء (إضافة إلى المرسل والمتلقي) وكل هؤلاء يؤثرون على مجرى الاتصال.

3ـ الأهداف Ends :

أ ـ الأهداف النوايا objectifs intentions هي النتائج المتوقَعة من العملية الاتصالية.

ب ـ الأهداف النتائج objectifs résultats هي النتائج غير المتوقعة من العملية الاتصالية.

4ـ الأفعال acts: أي مضمون الرسالة وأشكالها المختلفة.

5ـ النبرة keys : إنَ الأفعال المماثلة في إطار نفس العملية الاتصالية يمكن أن تختلف دلالتها باختلاف النبرات التي قيلت بها (مثال: قد يحول الشتم إلى مزاح نبرات صوتية هزلية).

6ـ الوسائل instrumentalitis : تضم في آن واحد قنوات وأشكال الكلام واستعمال اللهجات والعبارات التي لا تمثَل معنى إلاَ عند الأشخاص المقرَبين.

7ـ المعايير Norms وتتضمَن:

أ ـ معايير التفاعل: كالتناوب في أخذ الكلمة أو إبراز اهتمامنا بما يقوله الآخر بمختلف أساليب الاتصال غير اللغوي (بالتصفيق مثلا).

ب ـ معايير تفسيرية: نستعملها لفتح العملية الاتصالية كقولنا للمتلقي: كيف حالك؟ ليجيب: الحمد لله، لابأس، بخير...

ج ـ أمثلة من أبحاث في اثنوجرافيا التواصل:

تبحث اثنوجرافيا الاتصال في السلوك التواصلي واللغوي في سياق ثقافة معينة ومن الأمثلة عن ذلك:

1ـ دراسة قام بها Philipsen حول الطريقة التي يتحدث بها أصحاب الياقات الزرقاء[4] بولاية شيكاغو وأيضا الكلمات التي لا يستخدمونها في حديثهم بناء على سياق الاتصال وهذه الدراسة تبيَن علاقة الهوية المهنية بطريقة الحديث والخطاب.

2ـ دراسة جويل شيرزر Joël F. Sherzer وهو عالم لغوي انثروبولوجي أمريكي من مواليد 1942 بحث في طرق التحدَث اليومي وطرق التحدث بالمنزل في اللغة المستخدمة لدى شعب غونا بباناما، وتعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها التي تتناول بوضوح اثنوجرافيا التواصل من منظور التحدث اللغوي في مجموعة كاملة من الممارسات اللفظية بين مجموعة من الناس

[4] أصحاب الياقات الزرقاء هم عمال مهنيون يؤدون أعمال يدوية يسمون بالإنجليزية Blue collar worker